حقيقت الدراسات اللغوية منذ عصور مبكرة بعناية الغيارى على اللغة العربية، والحريصين على حفظها وسلامتها، والطامحين إلى استنباط مكونات فوائدها ودقائق معاناتها. فجاهدوا في سبيل ذلك أصدى الجهاد وأروعه، وأبلغوا خير البلاد وأحسنتهم أكلًا، وأبعث شعراً، ودنت قطوفها. وكان من جملة هذه الدراسات ظاهرة ثنائية الالفاظ وثلاثية الألفاظ التي عني بها حذاق اللغويين قدامى ومحدثين. إذ استكان لهم وجود الفاظ مشتركة في حرفين وفي معيين عام يجمع ماينهما، ويربط بعضها بعضًا، فححرصوا أشد الحرص وغايته على الوقوف عند نشأة هذه اللفظ، وله لهذه المشاركة في عدد من الحروف، وفي المعني العام العام صلة و מיجة في نشأتها؟.
وقبل أن يبين هذا الأمر على وجه التفصيل لا بد لي من الإشارة إلى أن من أدق المباحث اللغوية، وأشدها استعما، وأبعدها غورا موضوع البحث عن مبدأ اللغة العربية وأطوارها. لأن العربية التي ورثها لم تكن معرفنا بها معرفة دقيقة تتعدى الإسلام كثيرًا من الناحية الزمنية، فإن أي بحث عن نشأتها وتاريخها الموغل في القدم بعد ضربًا من التخمين تارة، ويخضع للكثير من الفروض والنظريات تارة أخرى، وتزداد المسألة تعقيدًا كلما اضطربت الأراء، واختلفت وجهات النظر فتغدو ظاهرة تاريخية كظاهرة ثنائية الألفاظ وثلاثيةها من الظواهر التي لا يستطيع الباحث أن يحكم في اصل نشأتها حكما فاصلاً. ويجزم: 15
جزءاً قاطعاً منياً عل برهان علمي ساطع، ويستند إلى دليل قاطع لا يشبهه ريب.

وموضوع الوضع الأول لحرفية اللغة العربية من حيث الثنائية أو الثلاثية من تلك المباحث التي تخضع لهذه الاعتبارات التي بنيها آنفاً ولا تخلو من غموض وإبهام وتشبع في الآراء والبحث...

وها أنا أورد بعض الأمثلة التي تجيء هذه الظاهرة كي يستبين المتلقي

الذي نحنها تلك الألفاظ:

(أ) أمثلة التدليل

1«الناظر: قلب، قطع، قفل، قطم»: تشرك في الحرفين (القف، والتاء)، أي المعنى العام وهو (الفصل).

2 «الناظر: جذب، جذر، جذل، جدم»: تشرك في الحرفين (الجيم والذال)، وهو المعنى العام وهو (الأصل).

3 «الناظر: نفث، نفج، نفح، نفح، نفأ، نفأ، نفأ: تشرط في الحرفين (التران واللفاء)، وهو المعنى العام وهو (الخروج والانتقال).

4 «الناظر: حجب، حجر، حجز، حجم، تشرك في الحرفين (الجيم والجم)، وهو المعنى العام وهو (الحجز والمنع).

وانت إذا تدبرت هذه الأمثلة وجدت الحرف المزيد واقعاً في آخر اللفظة.

ويسمى تذبلاً، وهذا هو الأكثر وروداً.

(ب) أمثلة التصدر

وقد يقع الحرف الزائد في صدر اللفظة، وسمي تصديراً، مثل:

1 «الناظر: بصر، صهر، شهر، شهر، شهر، شهر»: تشرك في الحرفين (الهاء والراء)، وهو المعنى العام وهو (الوضوح والظهور).

١٦
(ج) أمثلة الحشر

وقد يقع الحرف الزائد وسط اللفظة، ويعنى حشواً، مثل:

الألفاظ: رسم، وشم، وضم، وضم: تشارك في الحرفين (الواو واليم)
وفي المعنى العام وهو (الانتصاف).

والامثلة في ذلك أكثر من أن تحصر. وما يوردته يشير باستمرار عدد من
الألفاظ في حرفين. وفي معنى عام يجمعها. وهذه الظاهرة هي التي لفتت انتظار
اعلام الباحثين من قدامى ومحدثين.

ولابد لنا من بيان آراء مختلف العلماء الذين أبدوا رأيًا في هذه الظاهرة
بادئين بأولئك الذين فتحوا أبواب هذه الدراسات وأصولها وأثاروا في أذهان
الذين جاءوا من بعدهم أمثلة وآراء متنوعة.

1. الخليل بن أحمد الفراهيدي

لو تذكرنا نظر في مقدمة كتاب الدين للخليل بن أحمد المتوفر سنة 176 ه
لوجد اشارة إلى الثنائية، فنراه يقول (المضاف في البيان: ما كان حرفاً
عجوزه مثل حرفي صدره، وذلك بناء سنجشه العرب فيجوز فيه من تأليف
الحروف جميع ماجاه من الصحيح والمعلول. ومن الدلائل الشفوية والصوت.
وينسب إلى ذلك الثنائية لأنه يضعه أن الرأي الحاكي يحتوي
صلصلة اللجام يقول: صلسل اللجام، وان شاء قال: صل، مخففة مرة
اكتفاء بها، وان شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك يقول: صل صل
يتكلف من ذلك مابدا له). (1)

فهو يربط بين ظاهرة الثنائية وبين النظرية الطبيعية في نشأة اللغة تلك
النظرية التي ترى أن اللغة نشأت محاكاة لاصوات الطبيعة، كما أنه
يشير إلى الآصيلين الذين نشأت عليهما اللغة أول مانشأت وبنبت عليهما في
مراحلها الأولى بدليل قوله (صل).

(1) الفراهيدي-الخليل بن أحمد - كتاب الدين، 226/1.
وقد علق الدكتور إبراهيم السامرائي على ماذكره الخليل قائلًا: (1) هذه الملاحظة اشارة واضحة الى القيمة التاريخية للإسلاج الثلاثي الذي بني منه المعروف الثلاثي ثم الرباعي المضاعف. (2) وهذا مارجعناه في معجمه فقد ابتدأ ترتيبه بالثالثي وواحد كلمة تتناولها فيه هي (عن) وآخرها هي (مع). (3)

2. ابن دريد

أما ابن دريد المتوفر سنة 321 هـ فهو من أولئك الذين عدوا الممضع الثلاثي ثانوياً ويدل عليه قوله (الثالثي الصحيح لا يكون حرفين البتة إلا والثاني ثقيل أي مضغع) حتى يصير ثلاثة أحرف اللفظ الثلاثي والمعنى ثلاثي، وانما سمى ثانياً للفظة وصورته. فذا صرت ان المعنى والحقيقة كان الخرف الأول أحد الخروج المعجمة والتاني حرفي مثلين أحدهما مدغم في الآخر نحو بيت بنتاً في معنى قدمه. وكان أصله (بنت) فادفعوا الناء في الناء فقالوا (بت)، وأصل روز الكلمة (فعل) وهو ثلاثة أحرف فلما مازجها الإدغام رجعت اح حرفين في اللفظ ناقتلاً (بت) فأذعت إحدى التانين في الأخرى، وكذلك كل ما أشبها من الخروج المعجمة (3) فهو يضع حداً للمضغع ويجعل ظاهرة الثنائية قائمة على الصورة الصوتية لللفظة وعلى رسم تلك اللفظة والدبليل على ذلك قوله آنفاً (وانما سمي ثانياً للفظة وصورته).

3. ابن فارس

وشرح ابن فارس المتوفر سنة 549 هـ في معجمه بأن الللفظ الثلاثي ترجع إلى أصل ثانوي وضرب لذلك أمثال منها أن أصل باب (القاف والطاء) وما تاليهما يرجع إلى معنى (القطع) فيراه في (فط) الذي يدخل على صرم وابناء شيء من شيء،...

(1) السامرائي - الدكتور إبراهيم
(2) التراويج - الخليل بن أحمد كتاتب المبين 14/1086/681
(3) ابن دريد - أبو بكر محمد بن الحسن الجهراء 14/131
وفي (قطف) الذي يدل على أخذ ثمرة من شجرة، وفي (قطم) الذي يدل على قطع الشيء. في (قطع) الذي يدل على قطع الشيء أيضًا. فالعين واللام والميم وردتا حروفًا زائدة على الأصل النوني (قط). فخصصت معنى القطع، ونوعه حسب ما يطلب من المقام. فإن أردنا إبانة شيء من شيء وفصل عنه أضيفت (العين). فصار الفعل (قطع)؛ فإن أردنا أخذ شيء من آخر دون معاناة كأخذ وردة من غصنها أضيفت (الفاء) فصار الفعل (قطف). (1)

4. الأصبهاني

ولقد لفت الأبي الأنصار الكرملي الانظار في كتابه (نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها)، إلى ماذهب إليه الراغب الأصفهاني المتوفر في سنة 553 في مؤلفه (غريب القرآن) وهو اعتبار الحروف المضفعة في آخر الكلمة حرفاً واحداً، فقال: (ومن قال به لم يعد عنه قد شعرة الأصفهاني صاحب كتاب غريب القرآن) فأنه بمعجمه الجليل على اعتبار المضافات من حرف واحداً، ولم يبال تكرار حرفه الآخر فهو عنده من وضع الجمل. ثم تراه هو من وضع العلم والتحقيق، أانه إذا آرآر ذكر (مدة) مثلاً في سفره، ذكرها كأنها مركبة من مادة (مدة) أي ميد رداً مساكنة. ولا نتفت إذا أنها من ثلاثة أحرف، أي ميد، كما يفعل سائر اللغويين. ولهذا السبب عيبه بذكر (مدع) مثلاً. ولا يقدم هذه على ذلك على ماناهذه في معظم معايجم اللغة كالقاموس، ولسان العرب. و أساس البلاغة وترجم الأعراس وغيرها. (2)

5. الأبي الأنصار الكرملي

ويرى الأبي الكرملي أن اللغة قد وضع في الأصل على حرفين متحركين فسأكان وأن الحرف الثالث قد نشأ بعد ذلك نتيجة لتصرف في المتكلم المبني على اختلاف المكان والرماح. فقول: (اللغويون على فريقين متعادلين على سوء) (1) مقايس اللغة، 105-106. والنظر في الأصل. الدكتور صبحي، دراسات في اللغة، 56-57.

(1) ص 2

(2) ص 2
موضوعة: فريق يذهب إلى أن الكلمة، وضعت في أول أمرها على هجاء واحد: متحرك فساكن، محاكاة لأضواء الطبيعة ثم فشمت (أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر أو القلب أو الطرف). فصرف المتكلمون بها تصرفًا، يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيانات. وفريق يقول: إن الكلمة وضعت في أول نوشئها على ثلاثة أحرف بهجاء واحد أو بهجائيين. ثم جرى عليها المتكلمون بها على حد متقدمات الإشارة إليه.

على أننا اتبعنا الرأي الأول. فمنذ أن أولعنا بهذه اللغة المبينة الرائعة، فأخذنا بنشره وتفصيل دقاته منذ سنة 1881 ولا ننفك نصرح به إلى اليوم هذا دون مامل ولا وجل، نبوب به على رؤوس الملأ أو تجهز به في المجالس أو تدافع عنه في المجامع أو ندعمه في الأندية (1).

والف، كذلك داعماً رأيه في مقالة (أصول الكلم وتراكيب حروفها). إذ أن أول ما وضعت عليه أصول هذه اللغة كان يتقوم من حرفين، ثم كسه (2) بحرف ثالث للتثبت من تحقيق لفظ الحرف الثاني من الكلمة. ومنذ ذلك الحين تثبت كل لفظة عربية على ثلاثة أحرف وأصبحت لها كالاثانير، وعليها أحكام وضع أصولها، وما زيد على ذلك القدير من الأحرف ألقح بها لغات شتى. فذكرها علماء العربية في مطاوي مباحثاتهم (3).

6. جورجي زيدان

ومن خاص في هذا الموضوع جورجي زيدان. وقد نحا فيه منحنى خاصة إذ يبني نشوء الثلاثي على ظاهرة النحت المعروفة في اللغة العربية. فهو يرجع اللفظة الثلاثية إلى اصطناع ثلاثيين ثم تبت منهما اللفظة الثلاثية بعد ذلك. إذ يقول في نحو (قطف) ويفيد القطع والسجع، والصلاة في على مآرب (قط لف) الأولى: قطع، والثانية جمع. وبالاستعمال أحدثت اللام ونفت حركتها إلى ماقلها فصارت

(1) الكرمي، الأب أنصاس، نشوء اللغة العربية ونحوها واكتئابها ص 201.
(2) كعب: ذيل.
(3) الكرمي، الأب أنصاس، نشوء اللغة العربية ونحوها واكتئابها، ص 201.
(قطف) ا. و(قش) أي جمع ماعلي الأرض من فئات، فإنها ترد إلى أصلى(قدم فش)
الأول بمعنى(كنس) والثاني(جمع) فكنا إذا أرادوا كنس شيء ما وجمبه
قالوا(قم قش) والتخفيف الغيت(الفاف الوسطى) قفيل(قمش). (1)
على أننا نرى أن رأي زيدان ليس من بنات أفكاره، وإنما سيته إليه علماء
اللغة القديم، فهم أولئك ابن فارس في معجمه مصاحف اللغة. فقد قال: (أعلم
أن للرباعي والخماسي مذها في القلم يسبط البصر الدقيق. وذلك أن أكثر
متأراء منه منحوت. ومعنى النحت أن تؤخذ كلمة تان وبنيت منها كلمة تكون
آخذة منهما جميعا بحظ... ومن ذلك(بحثر) الشيء. إذا(بدته). (2) (البحثة)
النكر في الماء. وهذه أي لفظة بحثر-منحوتة من كلمتين من(بحث) الشيء
في التراب. ومن(البر) الذي يظهر على البدن. (2) (اللفظة) بحثر(اذ مولدة عن
طريق النحت). ولكن زيدان لم يأخذ بنظرية علماء اللغة القادمي على أطلالها.
وأما حصر ذلك النحت في الثلاثي، مجازا نظريه القديم، حسب تفصيلها السابق.
ورأيه في ارجاع الكلمة الثلاثية إلى أصلى ثلاثين يصح أن كان لكل منها
معنى في نفسه. (وأذا لم يكن لكل من الفظتين معنى في نفسه فلا يخلو أن يكون
لا حدثا أولا فإن كان الأول أحد الفظتين فعلا والآخر حرفا زيد اعتباطا وهو
في الغالب أحد هذه(ل ن ر). ربما توهم الواضع في هذه الزيادة شيئا من البالغة
إسوان الفعل بما يطابق فصده نحو نفس ورفض ووهب، ولهب، ورك.
وسكن. وإذا لم يكن لأحدهما(أي الأصلى) معنى في نفسه أي أن
لا يكون اسما ولا فعل، فلا يخلو أن يكون حرفا، وربما كان اسم أو فعل في
الإصل ولم يعد ممزاً إلا، ولدينا من هذا النوع بعض الكلمات العربية تقدمها
مثالا: من نظر في لفظة (مال) بمعنى مقتنعات لابخته، وإن لم تكنوا أصل مستقل،
ولكنها في الواقع مركبة من (ما) (الموصولة) و(لام الاضافه) وكيوانا يريدون تقولهم
(1) زيدان: جورج، الفلسفة القوية واللغة العربية ص 58.
(2) 228/1003-292.
(مالك) الذي لك أي مالك وثقيناك، ومثل لفظة (ويل) فإن أصلها (وي مع لام
الاضافة) وأصلها (ويل) وهكذا يقال في التعل النافض (ليس) الذي يحسب
الظاهر أصل مستقل فإنه مكب من (لا) حرف نفي، (أليس) الدال على الكون
المطلق في بعض اللغات السامية فأذعنتنا معاً، وكونا كلمة واحدة (1).

وهذا المحقق وإن تجلى في بعض الأمثلة، فلا ينعدم متكاً لبناء أحكام عامة.
فالامور اللغوية يجب أن تتحقق في مواد كثير من اللغة، بحيث يتحقق لدى
الباحثين معنى الاستقراء. ويستطيع أن يثبت وجهة التي ارتأها بما بدا له من
الفاظ تحقق فيها هذا الغرض.

7. الاب مورويجي الدومنكي

وقد عقد الأب مورويجي موازات بين المضف الثلاثي في اللغة العربية، وما
يقابله في السريانية. فاستبان له أن هذا المضاف لا يقابله في السريانية، الا حرمان
(مثل مقابل: مص = مصر، وحذاء صم = صم وبازاء مس = مس). وهكذا كل
المضافات التي هي بالحقيقة ثنائية، والثنائي وارد في كل الساميات. متصفاً
بمعنى حقيقي وثام (2).

وقد أورد عددًا من الأدلة معروفة، منها: (ما صاغه العلماء من الأفعال
المضافة والمكررة مستخرجين عناصره الأولية من أسماء الأصوات، ودعا
الحيوانات، وزجرها. وبعض أسماء الأفعال، فهي جميع ثانية، فمثلًا: أف
كلمة تكره يخ لاستعمال الشيء. صَبَع: اسم صوت يزجر به الجمل عند ترويضه.
صَبَع: أَمَرَ بالسكوت. مَهَ: أَمَرَ بالكف. فمن هذه الثنائية صفات أفعال أما بتحريك
الساقين وتشديده، أو بتكرار الثنائي ذاته وتحريك الآخر، فقيل: أَفَ، يَخ
صَبَع، صَبَعُ، مَهَ، مَهُ (3).

(1) زيدان، جورج، النحوية اللغوية واللغات العربية ص 60.
(2) من كلمة ألقاك في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص 8، نقلها عن الصالح، الدكتور صهبي،
دراسات في قته اللغة، ص 15.
(3) المصدر نفسه.
وقد أشار الى هذه الأصول التي ترجع إليها الألفاظ العلامة هي الراوي فقال:
(وأي يقرأ كلمة العربية بانعم نظر يجد أن معظم موالاتها أصلاً يرجع
ابي كثير من كلماتهم لم تقل الكلمة، خذ على ذلك مثلًا مادة (قل)، وما يثلها، تجد
الجمع يدور حول معنى الشق والفتح مثل: فلح، فاج، فقل، فلق، فلق، فلق.
ويلي ذلك مادة (قل) وما يثلها تقول: قط، قطع، قطر، قطف، قطن، وكلها
بمعنى التصال).
(1)

وأورد الأستاذ سعيد الافغاني في مؤلفه رأياً لمحدث آخر (2) بين أن (الهمزة
والباء مداخلهما التفوق والبعد والانفصال بين الشيئين:
1. أبي للسرير: تهيا له.
2. أبي اليوم: أشت حقه فقطع الناس عن أعمالهم.
3. أبي الوعد: تفر.
4. أبي النخل: تقطع منها شيئاً.
5. أبي الفسي: وثب وانطلق.
6. أبي العبد: تفر عن مولاه.
7. أبي: توشه.
8. أبي عن الشيء: تنزة عنه.
9. أبي عن القضم: فر عنه.
(3)

وهو ليخرج عما ذكره من قبل من الباحثين في اشتراع كثير من الألفاظ
بمعنى واحد بعد اتفاقهم في أصلين.
وإنما إذا أمعنت النظر في الآراء والألفاظ العلامة، لك ما ذهبوا
اليه، وهو أن الألفاظ التي تشارك في حرفين، في معنى عام يربط بينها بعض
كانت في أصلها ثنائية المقطع، ثم دعت الحاجة بعد ذلك إلى أن تكون ثلاثية;
(1) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق 13/11/2007، وانظر الافغاني سعيد، أصول النحو، 125.
(2) لم يذكر اسمه.
(3) الافغاني: سعيد، في أصول النحو، ص 125.
فكان زيادة المبنى مفروطة بزيادة المعنى مع تخصص جزئي في معاني تلك الألفاظ الثلاثة التي اتحدت في المعنى العام الذي تدور عليه مادتها. وختصفت في صورة الحرف الأخير الثلاث منها.

8. عبد الله العلايلي

وقد ذهب اللغوي المعاصر عبد الله العلايلي مذهبًا في اختلاف غير يسير عن سبقوه فقد رأى أن يرد إلى المعاني أكثر الثلاثات، وأن يفسر نشأة الثلاثي من الثاني بوساطة تلك المعاني. يقول: (وكيفما كان الأمر فقدينا الآن عن تأكيذ أن الثلاثي نشأ عن الثلاثي، وأن كثرة من الثلاثات احتفظت بها العربية بعد تصحيح الصوت حرفًا، وهذه الثلاثات التي نظازها هي المعاني وهذه المعاني المحتفظة في شتى المجمع، يجب أن نتخذه عمدنا في الدروس لنفهم الثلاثي على وجه، لأنها الأصل الذي انفصل عنه، ولم يكن عمل التصحيح إلا ضررًا من إقرار اللغة على صورة واحدة من الثلاثي، فالواوي منها ينظر إلى الضمعة المحدودة، والواوي إلى الكسرة، كذلك من ثم يتأتى ما ذهناه إليه من أن هذه الحركات تراد لعن بعينها في العهد الصوفي، ثم تصحيح كل حركة بحرف من جنسها بعد أن أتخذت العربية وحدتها في الثلاثي.

وستطيع أن نقول من بعد هذا، إن مطلق الثلاثي نشأ عن الثلاثي على هذه الصورة التي عليها المعاني بزيادة حرف من الهجاء قد سيئة لنا بيان أن محله الوسطي). (1)

واني لؤيد الدكتور الصالح فيما ذهب إليه من أن العلايلي قد اضطر إلى التكلف في تطبيق رأيه على بعض الأمثلة، فجعل (عال) مأخوذة من (عال) المعتلة، وأصلها (عال)، أما البياء فهي عين الكلمة مكوفة بالقياس واللام، أكانهما سياج لها، فسلمتم من الحذف مع أنها هي الحرف المحذوف المريد، ونذكر الحرف المعطل للعوارض حتى حذف، فكان حرف البياء الصحيح المحذوف تعويض عن حرف

(1) العلايلي: عبد الله، مقدمة لدرس لغة العرب، 2036.
العلاقة المتبقية أيضًا. ولو أضفنا حرف الاء المزود قياسًا على سقوط الحرف المتلحرة لنا الكلمة الثلاثية على صورتها الثنائية الحقيقية، فذا هي (عل)
فقط. فأكي جمع يجمعها بعد هذا ببحث المادة (عبث وعث) وما أشهرها من المواد التي تتوسطها الاء؟ان (عبث) تعود الى (عث) وصورتها المتلحة (عث) أما (عث) فتعود الى (عث) وصورتها المتلحة (عث). وإنما رميا هذه النظرية بالتلفظ، فإن تطبيقها العملي لا يتم كما رأيت في المثال أن نهجي حرف الوسط تم تناول المادة ومعها المعطيات التي وقع فيها الحرفان على ترتيبهما، مع أن تهجي مادة ما من حرف الوسط، إنها يمكن بمتولة الخلف والراسخ، فكل الحروف المحتVisited يأخف في بنيتها المادة لا يتذكر منها، تظل هذه المادة معبرة دونه عن غرضاً تعبيراً دقيقاً كاملاً! (12)
ولعلاقنا بعد متنا من الآراء انتقص لنا جلياً الخلاف في هذه الظاهرة اللغوية، وراني لامتعة الشعورين لعلني أسهم في خدمة اللغة العربية، فأقول دون أن أعد
رأني هنا نهائياً لا يقبل التنازل والحراكة، وعلى هذا أخصره فيما يأتي:
أولاً: أن الثنائية قد تبدو أكثر قولاً، إن بدأنا اللغة بإلفاظ ذات أصوات قليلة يبدو شيئاً معقولاً، ثم تطورت تلك الإلفاظ من حيث عدد أصواتها تبعاً لتطور الإنسان الاجتماعي والفكري، فحاجت إلى إلفاظ متطورة
الأصوات تطور حياه نفسها ليتحقق له عن طريق التعبير عن حاجاته الحسية والمعنوية، وعلى هذا فلا يستبعد أن تكون اللغة قد بدأت بألفاظ أصوات، أي بإلفاظ ذات حروفين أو لا (قط) بسون الطاء، ثم تطورت بعد ذلك إلى أخرى ثلاثية (قط) (قط) قطع، قطع، الفهم...
ثانياً: أن الاستطالة في صيغ الألفاظ والندو فيها أمر لا يعد عن الفكر، وخاصة أن الاستقراء اللغوي دل على أن العربية عرفت صيغة متطورة عن أخرى في الاسماء والاعمال تلفظة (مكول) مثلاً وهي اسم متطورة من لفظة

(1) الصالح-الدكتور صبيحي-دراسات في فقه اللغة، ص 123.

20
(ملك) والزيادة الصوتية التي في الفظة (ملكوت). تقترن زيادة معنوية لان (ملكوت) أبلغ وأوسع من الملك، ويشير لذلك قوله تعالى (كذلك نذكر إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموتى). (1) والأمر كذلك في الآتي: فلكل الفعل ثلاثي في أن الثلاثي يأتي منه المزيد ليبدله على معان أخرى غير منقطعة الوضوحية بالفعل الأصلي الثلاثي. فالفعل الثلاثي (كبر) نولد منه كبر، وأكبر، وفلكه. وتعبر وكابر... وكله صيغ جديدة متولدة عن الصيغة الأولى الثلاثية. وقد أوجدتها ودعت الى اشتقاقها حاجة المتكلم كلهما جد لنا معنى من المعاني، أو غرض من الأغراض.

وعلى هذا فلا يبعد أن تكون اللغة العربية قد بدأت بالصيغة الثنائية. ثم تطورت بعد ذلك حسب الحاجة إلى أخرى ثلاثية فرعية... على أن القول بثلاثية اللغة قد يوحنا بينه وبين آخر. وهو أن اللغة لم تكن في أصولها الأولى معرضة لان القول بثلاثية اللغة يعني الوقوف على الفظة بالسكون لتنطلق الثنائية. فاللفظة تتألف من حرفين: متجمعت نساكن، والسكون إذا كان ظاهرة مطردة فإنه يعني عدد الأعاب. فهذا أمر آخر يولد لنا القول بالثنائية، والذي يبدو أن الإعراب ليس ظاهرة بدائية، بل أنه ليبدو ظاهرة حضارية، ووجها لتطور الأمة العظمى. فكأنه من ظواهر استكمال اللغة لتطورها وأدائها للحالات الذهنية المختلفة، وبعبارة أدق أن الأعاب في اللغة العربية يبدو أنه كان مسبقاً بحالة لا أعابية... ويدعم هذا ان ترك الأعاب بعد عنانا إن ضعفاً في عصورنا الحاضرة حالة من حالات النكوص اللغوي، ظاهرة من ظواهر العامية، والعامة ليست حالة من حالات رقي اللغة كما هي معروف. بل هي وجه من وجه تأخرها والعامية تتفن على الكلمات بالسكون لأنه على السبطة الناطقين بها أسر. فشئها من هذه الناحية شأن اللغة في مهدها إذ ليس من المقول أن تبدأ اللغة بما هو صعب في مراحلها الأولى. وهو الأعاب وخاصة أن الأعاب كما ببينا بعد وجيهاً

(1) سورة الأنعام، آية 75.
حضاريًا، ومظهرًا لقد تقدمائم العقل لا تأخيرها، ويقوى هذا إنا نعلم أن ثمة من يرى أن العربية (فيها لغة فصيح يتخاها الكاتب في كتابته ملزمة بضوابط الإعراب، ولغة أخرى يقولها الناس ويستخدمهم دون أن ياضروا أنفسهم بانهاء هذه الضوابط). فالاعراب إذن سمة من سمات رقي اللغة وتقدمها وتطورها، وإن لغة الكتابة الفصيح أرقي من لغة التحاطب اليومية الاعتيادية حتى في عصور الفصاحة. فإذا كله يشعرنا بأن اللغة بدأت في أصولها الأولى غير معروفة، ويمكن أن يوجه لنا أيضاً بأن ثانية الألفاظ سابقة لثلاثيتها، ولعل هذا الرأي يجد تعزيزاً من النظرية الطبيعية التي ترى إن اللغة نشأت محاكاة لاصوات الطبيعة. لأن هذه المحاكاة يمكن أن تتحقق بأقل الألفاظ أصوات وهي الألفاظ الثنائية، مثل قط، وشط، وغيرهما، إذ أن المرسوم هو الذي يحقق هذه المحاكاة، وهو يمكن النجاح عن طريق الألفاظ الثنائية وحدها.

وبعد، فهذه آراء اللغويين قديمي ومحدثين في ظاهرة ثنائية الألفاظ وثلاثيتها اتفقها وأصبحت أليها ما تراجعت إلى في هذا البحث الشائك، وأرجو أن يكون قد حققت ما صوبت إليه.

(1) السامرائي-الدكتور إبراهيم-فقه اللغة المقارن، ص 22.
المصادر

1) ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا - معجم مقاييس اللغة - دار أحياء الكتب العربية، عيسى الخميسي الطبعة الأولى 1366 هـ بالقاهرة. تحقيق وضبط عبد السلام هارون.
2) الأزدي: أبو بكر بن حسن الأزدي البصري - جمهرة اللغة الناشئة مكتبة الملك.

المراجع

1) زيدان، جرجي - زيدان، الفلسفة اللغوية والالتزامات العربية، الطبعة الثانية، 1940 م.
2) السامرائي، ابراهيم - نشأة اللغة العربية في العصر الحديث، مطبعة الجبلاوي بالقاهرة، 1973 م.
3) السامرائي، ابراهيم - فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، 1988.
5) العلايلي، عبد الله - مقدمة لدرس لغة العرب.
6) الكرملي، الأيبنداك - نشوء اللغة العربية ونحوه - المطبعة المصرية بالقاهرة، 1388 هـ.